**الفردانية المنهجية**

1. تعاريف
2. مشارب الفردانية المنهجية
3. تصوّر الفردانية المنهجية للفاعل الاجتماعي
4. أنواع العقلانيات
5. تأثيرات التجميع Effet de Composition
6. بودون و«المدرسة»
7. **تعاريف**

يفرّق بودون، عند حديثه عن مفهوم «الفردانية» بين استعمالات مختلفة:

* الفردانية بالمعنى الأخلاقي أي القيمي وهي من يجعل الفرد المصدر الأعلى للقيم الأخلاقية
* الفردانية بالمعنى السوسيولوجي وهي تعني أن يكون استقلال الفرد قيمة مهيمنة
* وأخيرا الفردانية المنهجية التي «عند تفسيرها لظاهرة اجتماعية أيّ كانت سواء في لديموغرافية، علم سياسة أو علم الاجتماع، تحاول إيجاد أسبابها الفردية أي فهم لدوافع التي تأدّي بالفاعلين الاجتماعيين للقيام بما يقومون به أو للاعتقاد بما يعتقدون به»

1. **مشارب الفردانية المنهجية**

هناك ثلاث مشارب أساسية تشكلّت منها الفردانية المنهجية:

* النفعية الاقتصادية في الاقتصاد الكلاسيكي، إنها تتصوّر أن الفاعل الاجتماعي أو الفرد عموما يبحث على أكبر قدر ممكن من المنفعة ولا توقفه إلا العوائق التي قد تحدّ من سلوكاته. في هذه الحالة يرّكز التحليل السوسيولوجي على «المنفعة» عوض «المعيار».
* سوسيولوجيا ماكس فيبر التي تؤكد على الدلالات التي تحرّك الفاعل وكيف أنّ تفسير سلوكات الفرد يرجع أساسا إلى محاولة فهم الدوافع المحركة له والتي يبحث على تحقيقها.
* إيبستمولوجيا فون هايش Von Haych وكارل بوبر Karl Popper خاصة منها المسلمة التي مفادها أنّ الظاهرة الاجتماعية هي محطّة للأفعال الفردية.

1. **تصوّر الفردانية المنهجية للفاعل الاجتماعي**

غالبا ما تتحدث الفردانية المنهجية عن الفرد كفاعل اجتماعي ولا تعتبر «الجماعة» فاعلا اجتماعيا إلاّ عند توفّر مجموعة من الشروط (خاصّة عندما تكون هذه الجماعة منظمّة ولها أساس منظّم في الفعل.

يرى دعاة الفردانية المنهجية أنّ الفاعل الاجتماعي ليس موضوعا سلبيا تحرّكه العادات والثقافة وإنّما فاعلا «اقتصاديا-نفسيا-اجتماعيا» له قصدية معيّنة وله حرية في الاختيار وفي اتخاذ القرار في الوضعيات الاجتماعية المختلفة، رغم ذلك يبقى لكل وضعية يتواجد فيها الفرد حدودها، صعوباتها وعوائقها.

تؤكد الفردانية المنهجية على وجود «عقلانية» لدى الفاعل الاجتماعي

عقد توضيحه لمفهوم العقلانية يقول بودون «أنّ علم الاجتماع يتعامل مع سلوك باعتباره عقلانيا في كل الحالات التي يستطيع فيها (علم الاجتماع) أن يقدّم التفسير التالي: كون الفاعل (س) قام بسلوك (ع) فذلك مفهوم: أي أنّه في الوضعية التي كان فيها كانت له دوافع وجيهة للقيام ب(ع)» إنّ فهم سلوك الفاعل الاجتماعي يرجع إلى استخراج «لماذا؟» أي معنى الفعل؟

1. **أنواع العقلانيات**

هناك العديد من العقلانيات، الفاعل يقوم بسلوك ما لأنّ:

* هذا السلوك يوافق مصلحة
* هذا السلوك يمّكنه من تحقيق هدفه
* هذا السلوك يوافق مبدأً أخلاقيا معيّنا
* هذا الفاعل متعوّد على فعله وليست له أسباب لتركه.

1. **تأثيرات التجميع Effet de Composition**

بعد تحليله للأفعال الفردية، يذهب بودون إلى تحليل هذه الأخيرة المجتمعة Etude de l’agrégation من هذا المنظور تصبح الظاهرة الاجتماعية حوصلة وتجميع للأفعال الفردية المنعزلة.

1. **بودون و«المدرسة»**

في كتابه «عدم تكافؤ الفرص» «L’inégalité des chances» يشرح بودون مبادئ الفردانية المنهجية المطبقة على موضوع المدرسة الفرنسية، إنه يخالف في ذلك التحليل الذي يقدمه بورديو P. Bourdieu حول نفس الموضوع.

ينتقد بودون التحليلات المعتمدة على العوامل الأحادية وعلى الحتمية الاجتماعية ويعتمد بعد ذلك نفس الاحصائيات التي استند عليها بورديو في تحليله.

بالنسبة له هناك ميكانيزمين هما أساس عدم تكافؤ الفرص في المدرسية الفرنسية:

الأوّل هو ما يشرحه بورديو (لكن هذا الميكانيزم كلّما تقدّم التلاميذ في أطوار الدراسة)، أمّا الميكانيزم الثاني فهو ما يحاول بودون شرحه.

يبدأ بودون تحليله بملاحظة أنّ نظام التعليم متنوّع جدا (طويل المدى/قصير المدى، مهني/عام، أكاديمي/تقني، قطاع عام/قطاع خاص ...).

مستوى التطلعات الاجتماعية للأفراد ولأسرهم ينتج عن عقلانية وعن حساب معقّد، إن قرار مواصلة الدراسة أو التوقف عنها، اختيار هذا التخصص أو ذاك يعتمد على تقدير الفرص والمخاطر التي قد تنتج عنه.

إنّ هذه «العقلانية» التي يتحدث عنها بودون تتكون من عنصرين أساسيين:

* الأوّل: ثانوي وهو مجموع المتغيرات المتعلقة بالفرد (الجنس-المستوى الدراسي-السّن...)
* الثاني: وهو الأساسي ويتمثل في الحساب الذي تقوم به الأسرة والفرد المعني بالدراسة، يتكون هذا الحساب من ثلاث متغيرات أساسية:
  + حساب الكلفة: الزمن، المال الذي تحتاجه الدراسة
  + حساب الربح: الذي تحققه الدراسة من جانب المال، الحظوة، الهواية
  + حساب المخاطر: هل الدراسة سهلة؟ هل يمكن إنهائها إلى الآخر؟ هل هي مضيعة للوقت؟

إنّ الفاعلين الاجتماعيين سيقدّرون ما الذي سيرجع بين هذه المتغيرات الثلاث: هل هي الكلفة والمخاطر على حساب الربح أو العكس، أمّا أسر الطبقة العليا وأبنائهم فيتجهون في تفكيرهم نحو اعتبار الربح المتحصل عليه من الدراسة أكبر بكثير من الكلفة والمخاطر الناجمة عنها، أما أسر الطبقة الدنيا وأبنائهم فيذهبون إلى المبالغة في تصوّر الكلفة والمخاطر الناجمة عن الدراسة وإلى تقليل من أهمية الربح الذي قد يحصلون عليه.

يتطرّق بودون في دراسته كذلك إلى ما يسميه «الأثر الشاذ» Effet Pervers، الناجم عن الإقبال الكبير على الدراسة، يقول «إن سباق الحصول على الشهادات يخلق العديد من الآثار والنتائج التي كثيرا ما تكون متناقضة، كلما حصل الأفراد على شهادات أعلى، كلما كان هناك ازدحام للحصول على المواقع العليا...، كلما وزعنا الشهادات، كلما نحتاج إلى أخرى وتنقص قيمتها في سوق العمل، إنّ ذلك يشبه التضخم: إذا تم طبع الكثير من الأوراق النقدية، تزيد بذلك الأسعار وتنقص قيمة العملة».